

## الفصل الثاني

### آثار رحمة الله بالعالمين

هذا المبحث نستعرض فيه أمة الرسل والأنبياء عليهم السلام، لا على وجه الحصر، بل نشير إلى بعضهم، بهذه الإشارات التي ألمح إليها القرآن، وتتجلى في هذه الإشارات رحمة الله وعنايته برسله وأنبيائه، وعواقب المكذبين بهم، بعد أن جاءتهم البينات، كما تتجلى بعض الإختبارات للرسل بالخير وبالضرر، وكيف اجتازوا الإبتلاء.

كل هذه الإشارات التي شملت نماذج الرسل وحياتهم مع قومهم، مع نماذج من رحمة الله، يعقب بالغرض الشامل من هذا الاستعراض، وهو تذكير وتوجيه النبي ﷺ والمؤمنين، يقول سيد قطب: (ويوجه خاتم أنبيائه وخير رسله ﷺ ليذكرهم ويعيش بهم، ويتأمل صبرهم ورحمة الله بهم، ويصبر على ما يلقاه من قومه المكذبين الضالين، فالصبر هو طريق الرسالات، وطريق الدعوات، والله لا يدع عباده الصابرين حتى يعوضهم من صبرهم خيراً ورحمة وبركة واصطفاء.. وما عند الله خير، وهان كيد الكائدين وتكذيب المكذبين إلى جانب رحمة الله ورعايته وإنعامه وإفضاله)<sup>(1)</sup>.

فمن آثار رحمة الله بآدم أن زوده الله بتجربة الجنة وتاب عليه، بعد لجوئه هو وزوجه حواء إلى الدعاء بأن يغفر الله لهما ويرحمهما، ومن رحمة الله بنوح عليه السلام أن آتاه الله النبوة، ونجاه والذين آمنوا معه من الغرق، ثم تتدارك رحمة الله نوحا عليه السلام حين لجأ بالدعاء أن يرحمه الله حين سأله ما ليس له به علم، ورحمة الله بهود عليه السلام حين نجاه الله من العذاب هو ومن آمن معه، والنبوة رحمة من الله لصالح عليه السلام، ثم نجاه والذين آمنوا معه من العذاب، ومن رحمة الله بإبراهيم أن وهبه النبوة ومن اصطفاهم من ذريته، ونشاهد دعاء الملائكة بالرحمة لآل بيته، والله ينجي لوطا عليه السلام وبناته من عذاب الحزري رحمة منه.

والله يرحم يوسف عليه السلام بأن عصمه فصرف عنه السوء والفاحشة، بعد أن رحمه وهو في الحب، ومن رحمة الله بيوسف عليه السلام أن مكّن له في الأرض، و هذا شاهده عليه السلام يتذكر رحمة الله به فلم ييخل بها على إخوته الذين ظلموه، وهذا

1- انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 3023.

يعقوب عليه السلام يرجو رحمة الله فينالها، بأن يجمعه ببنيه وأهله، والله تعالى ينجي شعبا عليه السلام برحمة منه من عذاب يوم الظلة.

ثم تأتي بعثة موسى عليه السلام، فمن رحمة الله بموسى أن وهب له أخاه وزيرا نبيا، ثم أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام، فكانت رحمة لموسى وهي رحمة لبني إسرائيل إن أخذوا بها، ونراه عليه السلام يتوجه بالدعاء إلى الله أن يغفر له ولأخيه هارون، بعد أن تمرد بنو إسرائيل على أخيه وعبدوا العجل في غياب موسى.

وهاهو أيوب عليه السلام تأتيه رحمة الله بعد الابتلاء، بأن يكشف عنه ما به من ضرر، ويهبه أهله ومثلهم معهم، وذلك جزاء صبره على الابتلاء وأدبه في الدعاء بالرحمة، ثم بين الله الصفات التي استحق بها زكريا وزوجه وابنه رحمة الله تعالى، ممثلة في إسراعهم في الخيرات وكانوا يدعون الله رغبة في رضوانه، ورهبة من عذابه غير متكبرين، ثم يهب الله الرحمة يحبي عليه السلام وهو الحنان منذ كان صبيا، ثم كانت النبوة رحمة بنبي الله عيسى عليه السلام، ومن رحمته به أن جعله برا بولدته وديعا لطيفا.

ثم يأتي خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وتتمثل الرحمة في أن النبوة رحمة لمحمد ﷺ تعصمه من الضلال، ومن رحمة الله تعالى بمحمد ﷺ أن أنزل عليه القرآن، وثبته في قلبه، و أن جعله هينا لين الجانب لأصحابه رضي الله عنهم، وانتصاره ﷺ على أعدائه رحمة من الله تعالى، ومن رحمة الله به ﷺ أن وسع عليه في مظان الحرج، ومن رحمة الله تعالى به كذلك ﷺ أن سامحه في امتناعه عن مارية، والعتاب كان رحمة به.

هذه نظرة سريعة على ما سنأخذه في هذا المبحث، وهو رحمة الله بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، كما عرضتها الآيات القرآنية.

## المبحث الأول : رحمة الله بالأنبياء والمرسلين

### 1 — رحمة الله بآدم عليه السلام:

— من آثار رحمة الله بآدم أن زوده الله بتجربة الجنة وتاب عليه:

(بعد أن أكل آدم وحوى من الشجرة الممنوعة، أخذتهما العقوبة وعاقبة المعصية، فنزع عنهما لباسهما الذي كان يستر عوراتهما بسبب الأكل من الشجرة المحرمة.

فعاقبهما ووبخهما الله سبحانه وتعالى، لأنه قد حذرهما ونهاهما من الأكل من الشجرة، وأن الشيطان الذي قاسمهما هو عدوُّ لهما ولذريته، عدوُّ ظاهر العداوة، و سيحاول جاهدا دون كلل أو ملل، إخراجهما من الجنة، حيث العيش الرغيد إلى الشقاء في المعيشة، والتعب في الحياة في طلب القوت، للذي خلقا من أجله ولذريته.

ولما سمع آدم وزوجته نداء الله تعالى لهما، وما تضمنه من عتاب وتوبيخ، علما بأن الشيطان قد خدعهما، وأوقعهما في مخالفة الله عز وجل، فندما وحزنا وتوجهها إلى الله تعالى معترفين بالخطيئة، تائبين من الذنب طالبن المغفرة والرحمة من ربهم الغفور الرحيم، قالها آدم عليه السلام، ودعا بها بخشوع وتضرع إلى الله تعالى وتبعته زوجته<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(2)</sup>

وقيل إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فلم يصرَّ آدم عليه السلام وحوى على المعصية، ولم يستصغرا المعصية ولم يستهينا بها، بل اعتبرا ذلك موجبا للخسران، فقالا: لنكونن من الخاسرين.

(فتلقى آدم من ربه كلمات) قال في أنوار التنزيل: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها، فرجع الله عليه بالرحمة وقبول التوبة، و(الرحيم) المبالغ في الرحمة، وفي الجمع بين الوصفين، وعد للتائب بالإحسان مع العفو<sup>(4)</sup>.

1 - أنظر الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان، 1 / 20، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ/1997م.

2 - البقرة (37)

4 - الأعراف (23)

4 - انظر تفسير البضاوي، المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي، 1 / 299 - 300 - 301، دار الفكر - بيروت، 1408هـ/1998م.

وقال ابن كثير<sup>(1)</sup>: وفي قوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) أي أنه يتوب على من تاب إليه وأناب، وهذا من لطفه بخلقه، ورحمته بعبده لا إله إلا هو التواب الرحيم<sup>(2)</sup>.

فلما تاب آدم عليه السلام، ورجع عن المعصية، رجع الله عليه بالرحمة والثواب. وقال في روح المعاني: وجمع بين وصفي كونه توابا وكونه رحيمًا، إشارة إلى مزيد الفضل وقدم التواب، لظهور مناسبته لما قبله، وقيل في ذكر الرحيم بعده، إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب... بل على سبيل الترحم والتفضل، وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه<sup>(3)</sup>.

وهناك دروس واستنباطات لسيد قطب رحمه الله في الضلال، يعد أن هذه التجربة رحمة من الله تعالى لآدم عليه السلام:

وبعد... فلا بد من عودة إلى مطالع القصة، قصة البشرية الأولى، لقد قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(4)</sup>، وإذن فآدم مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى، ففيم إذن كانت تلك الشجرة المحرمة؟ وفيم إذن كان بلاء آدم؟ وفيم إذن كان الهبوط إلى الأرض، وهو مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى؟.

لعلني ألمح أن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعدادا، كانت إيقاظا للقوى المذخورة في كيانه، كانت تدريبا له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين.

إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكر، والندم وطلب المغفرة، إنها هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة.

---

1 - ابن كثير: هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصري، ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، محدث ومؤرخ ومفسر وفقيه، ولد بجندل من أعمال بصرى سنة 700هـ، ثم انتقل إلى دمشق ونشأ بها، وتوفي بها في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، من تصانيفه تفسير القرآن العظيم، مختصر علوم الحديث لابن الصلاح، والبداية والنهاية في التاريخ، والفصول في سيرة الرسول، وجامع المسانيد جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة، انظر (معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، 283/2 - 284، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، وطبقات الشافعية 237/2، رقم الترجمة: 638).

2 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 1 / 83 - بالتصرف،

3 - انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، 1 / 237 - 238، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1404هـ/1984م.

4 - البقرة (30).

لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزودا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلا، استعدادا للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيرا.<sup>(1)</sup>

## 2 — رحمة الله بنوح عليه السلام :

حتى يبرر قوم نوح رفضهم لدعوة نبيهم عليه السلام، أثاروا في جداولهم عدة شبهات وهي : كون نوح عليه السلام من البشر، وأن النبي يجب أن يكون ملكا، وأن أتباع نوح من الأردلين، وأنهم لا يرون لنوح، ولا للمؤمنين من فضل عليهم، وأنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم، وأخيرا أن نوح عليه السلام رجل مجنون.

قال في المنار: فالمساواة في البشرية بينهم وبينه تنافي — في زعمهم — دعوى تفوق أحد المتساوين على الآخر يجعل أحدهما تابعا طائعا، والآخر متبوعا مطاعا<sup>(2)</sup>، ثم قالوا: إن نوحا ليس بملك ولكنه بشر! فكيف يصح ويجوز — في زعمهم — أن يوحى إليه من دونهم ويتفرد بالنبوة؟!.

### أ — النبوة رحمة من الله لنوح عليه السلام:

حينما أثار قوم نوح الشبهة، في أن نوحا ليس بملك، تبريرا على رفضهم دعوته، فكيف يوحى إليه، بل كيف يوحى إليه من دونهم، وهم أحق بالنبوة منه! رد نوح عليه السلام على قومه: ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾<sup>(3)</sup>

قال ابن كثير: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَقِينٍ وَأَمْرٍ جَلِيٍّ، وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْ رَبِّي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، (وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) وهي النبوة (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) أي خفيت عليكم ولم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردّها، فلم تستبينوا بها على ما تدل عليه من التفرقة بيني وبينكم، وإن كنت من البشر مثلكم، لأن حصول المساواة في البشرية، لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة، وما تستلزمه هذه الصفة من وجوب متابعتكم وطاعتكم لي، لأني بهذه الصفة أبلغكم ما يوحى إليّ ربي، فإذا أنتم جهلتم ما آتاني ربي من رحمة من عنده — وهي النبوة — وعُمِّيَتْ عليكم، فهل نلزمكم

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 59

2 - تفسير المنار 12/ 61 - 62، المكتب الإسلامي - بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، وأنظر المستفاد 137/1.

3 - هود (28).

إياها بالجبر والإكراه؟ أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها، والإيمان بها شئتم أو أبيتم، والحال أنكم كارهون لها، إنكاراً وجحوداً واستكباراً؟ أي أقدر على ذلك، ولا أحاول فعله بالإكراه، لأن الإيمان يكون عن رضا واختيار، لا عن جبر أو إكراه<sup>(1)</sup>.

### ب — من رحمة الله بنوح عليه السلام والذين آمنوا معه أن نجاهم من الغرق:

ثم أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام، أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، ثم أمره بأن يشرع في صنع السفينة، ثم حدد له علامة لركوبها، فلما جاء أمر الله وفار التنور، أمره الله تعالى بركوب السفينة هو ومن آمن معه، ومن كل زوجين اثنين وأهله، ثم أمرهم نوح عليه السلام بالركوب على ظهر السفينة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>  
قال نوح عليه السلام لقومه: اركبوا<sup>(3)</sup> السفينة، (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)، قال في الكشف: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست، ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره (إن ربي لغفور رحيم) : فلولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم<sup>(4)</sup>، من الغرق.

ثم سارت بهم السفينة في موج كالجبال، فنادى نوح عليه السلام ابنه وكان في معزل عنه للركوب معه — باعتباره من أهله — فرد الولد الكافر على أبيه:

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾<sup>(5)</sup>، فرد الأب الحنون: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾<sup>(6)</sup>، قال في

1 - أنظر تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ابن كثير، 443/ 2، دار الفكر - بيروت، 1401هـ / 1981م، والتفسير الكبير الرازي، 213/ 17، وتفسير المنار 63/ 12.

2- هود (41).

3 - قال الرازي : والركوب معناه العلو على ظهر الشيء ومنه ركوب الدابة وركوب السفينة، وركوب البحر وكل شيء علا شيء فقد ركب، انظر (التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، 6/ 348 - 349، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ / 2001م).

4 - تفسير الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، 373/ 2 - 374، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، 1417هـ / 1997م.

5 - هود (43).

6 - هود (43).

جامع البيان: (إن نوحا عليه السلام لما دعا ابنه إلى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق، قال: سأجأ إلى جبل أتحصن به من الماء، فيمنعني من الغرق، فرد عليه أبوه : لا مانع اليوم من أمر الله، الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه، ويعصم من شاء، أي لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله، وحال بين نوح عليه السلام وابنه موج فغرق، فكان ممن أهلكه الله بالغرق ممن قوم نوح عليه السلام)<sup>(1)</sup>، فلا مانع اليوم من الغرق، لكن من رحمه الله فهو يعصمه من الغرق.

### ج — نوح يطلب رحمة الله وتدركه:

ثم إن نوحا عليه السلام نادى ربه بعد أن غرق ابنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ 45، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ 46، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢﴾.

قال سيد قطب: ويرتجف نوح عليه السلام ارتجافة العبد المؤمن، يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجأ إليه يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته، وأدركت رحمة الله نوحا تطمئن قلبه، وتباركه هو والصالح من نسله، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم، وكانت خاتمة المطاف النجاة والبشرى له ولمن يؤمن من ذريته، والوعيد والتهديد لمن يريد منهم متاع الحياة الدنيا، ثم يمسهم العذاب الأليم.<sup>(3)</sup>

قال في التيسير: (فبالغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين)<sup>(4)</sup>.

تلك هي الرحمة العظيمة التي كانت تحفّ نوحا عليه السلام، باصطفائه نبيا، ورحمة الله به حين قبل اعتذاره بالدعاء، وحين نجّاه من الغرق هو ومن آمن معه، فحمّاهم فوق السفينة من الطوفان، وأغرق من كذب وكفر برسالته.

1 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، 11/ 55 - 56، دار الفكر - بيروت، 1405هـ/ 1985م.

2 - هود (45 - 47).

3 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1880/3.

4 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2/ 242، مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: ابن عثيمين، 1421هـ / 2000م.

### 3- رحمة الله بهود عليه السلام:

وتمضي عجلة التاريخ ، وتمضي معها الأيام، فإذا نحن أمام عاد قوم هود، سكن قوم عاد في الأحقاف، وكانوا أصحاب أوثان وأصنام يعبدونها من دون الله، وكانوا من أشد الأقوام تكديبا للحق، فأرسل الله إليهم أخاهم في النسب هودا عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، والكف عن ظلم الناس، والعبث بالأموال، وهدر الطاقات والأوقات فيما لا يجدي، فأبوا عليه ذلك وكذبوه وتجبروا، وأكثروا في الأرض الفساد.

ثم سلك هود عليه السلام مع قومه مسلك الترغيب، بما يجبون من نزول المطر الذي ينبت لهم الزرع، ومن أنواع القوة بالزيادة، إن هم استجابوا لدعوته، يقتضي ذلك منهم الاستغفار، والتوبة، فأجابه قومه: بأنه لم يأتي ببينة على دعوته، وأن ما تدعيه هو بعض ما أصابك من آلهتنا، فتحدهم بأن يجمعوا كيدهم وآلهتهم، ثم يضروه ولا يمهله، لأنه توكل على الله، فإن لم يستطيعوا هذا التحدي ولم يؤمنوا به، فقد حقت عليهم كلمة العذاب.

ثم ذكرهم هود عليه السلام بنعم الله عليهم، وخوفهم من عذابه، ولكن القوم عتو واستكبروا في الأرض، وأعجبته قوتهم، وأنها ستنجيهم من العذاب، وقالوا لهود عليه السلام: إن الوعظ وعدمه سواء لدينا، لا نسمع منك ولا نقبل ما تقوله، وأن دينهم الذي هم عليه هو دين الأولين، ولسنا بمعذيين على ما نفعل، ثم تأتي يا هود وتدعونا لعباد الله وحده، ونترك ما كان يعبد آباؤنا؟!، قال لهم: أتجادلونني في أسماء عارية عن المسمى، سميتوها أنتم وآباؤكم، لأن المستحق للعبودية هو الله تعالى، فقالوا: آتنا بالعذاب إن كنت صادقا! فقال لهم هود عليه السلام: قد وجب وحق العذاب، والغضب عليكم من ربكم، بسبب إصراركم، فانتظروا ما تطلبونه، إني معكم من المنتظرين لما يحل بكم.

— برحمة الله ينجو هود عليه السلام ومن آمن معه من العذاب:

فوقع ما وقع، ونجى الله هوداً ومن آمن معه وصدقته، برحمة منه سبحانه وتعالى، واستأصل الذين كفروا وأصروا على الكفر، ودمرهم عن آخرهم، لأن مناط النجاة هو الإيمان وتصديق آياته، كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب.



قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>: (ثم إنه تعالى أخبر عن عاقبة هذه الواقعة فقال: فأنجيناه والذين معه برحمة منا: لأنهم كانوا مستحقين للرحمة بسبب إيمانهم، وقطعنا دابر الذين كذبوا بالآيات التي جعلناها معجزة لهود، فأنزل الله عليهم عذاب الإستئصال الذي هو الريح<sup>(2)</sup>).

وفي موضع آخر يبين سبحانه وتعالى أن سبب نجاة هود ومن آمن معه، كانت برحمته تعالى، وأن العمل ليس هو العامل المهم في النجاة، وإنما رحمته تعالى التي وسعت كل شيء، وأن لا يتكل المؤمن على عمله فقط، ومن رحمته المنجية كذلك أن بين لهم الهدى، وبين لهم طريق النجاة، وطريق الهلاك، فاختاروا طريق النجاة، فأنجاهم الله تعالى برحمته:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾<sup>(3)</sup>

قال القرطبي: ((ولما جاء عذابنا بهلاك عاد ( نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) لأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: « وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ »<sup>(4)</sup>.

وقيل معنى (برحمة منا) بأن بينا لهم الهدى الذي هو رحمة، وكانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) أي عذاب يوم القيامة، وقيل هو الريح العقيم كما ذكر الله في الذاريات وغيرها<sup>(5)</sup>.

#### 4 — رحمة الله بصالح عليه السلام:

أرسل الله سبحانه وتعالى إلى ثمود أخاهم صالحا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب

1- الأعراف (72).

2 - التفسير الكبير، الفخر الرازي، 5 / 304، قال الرازي: فإن قيل: لما أخبر عنهم بأنهم كانوا مكذبين بآيات الله؟ لزم القطع بأنهم ما كانوا مؤمنين، فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك: (وما كانوا مؤمنين)، قلنا معناه: أنهم مكذبون، وعلم الله منهم أنهم لو بقوا لم يؤمنوا أيضا، ولو علم تعالى أنهم سيؤمنون لأبقاهم.

3 - هود (58).

4 - صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، 17/134، برقم: 7066، دار الكتب العلمية - بيروت، 1412هـ/1992م.

5 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9 / 54.

عليكم العباد، ولا تجوز الألوهية إلا له، هو ابتداء خلقكم من الأرض و أسكنكم فيها أيام حياتكم، ثم أمرهم بأن يستغفروا الله، فقال لهم:

اعملوا عملاً يكون سبباً يستر الله به عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به وإخلاص العباد له دون ما سواه، واتباع رسوله صالح، يكون ذلك بالإستغفار، ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم إلى ما يرضاه ويحبه، وذلك بالتوبة إليه، إن ربي قريب ممن أخلص له العباد، وورغب إليه في التوبة مجيب له إذا دعاه.

فرد قومه عليه: يا صالح كنا نرجو أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا، من أنه مالنا من إله غير الله، أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آبائنا تعبدوها!، وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب، يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوههم إليه من توحيد الله، وأن الألوهية لا تكون إلا له خالصة.

#### أ — من رحمة الله بصالح عليه السلام أن آتاه النبوة:

كان الرد من نبي الله صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾<sup>(1)</sup>  
(قال صالح لقومه من ثمود: إن كنت على برهان وبيان من الله، قد علمته وأيقنته، وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام، فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني، إن أنا عصيته فيخلصني منه، فما تزيدوني بعذرهم الذي تعتذرون به من أنكم تعبدون ما كان يعبد آبائكم غير تخسير لكم يخسرهم حظوظكم من رحمة الله)<sup>(2)</sup>.

كانت نصائح صالح لقومه مستمرة...

قال: يا قوم لم تستعجلون بالعذاب، قبل العافية، هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، ويصفح لكم عن عقوبته إياكم، على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة، ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم<sup>(3)</sup>.

واقترح قوم صالح على نبيهم عليه السلام: فقالوا يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية — وهي الناقة — لنعلم أنك رسول الله، فاستجاب لاقتراحهم بشرط أن لا يمسه بسوء،

1 - هود (63).

2 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 12 / 62 إلى 64.

3 - انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 19 / 171.

وإن هم اعتدوا عليها نزل العذاب، لكنهم نكثوا العهد وأبوا إلا عقر الناقة، فتوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب بعد ثلاثة أيام...

### ب — برحمة الله تعالى ينجو صالح عليه السلام ومن آمن معه من الخزي:

فجاء العذاب الذي استعجله قومه، ونجّا الله هودا والذين آمنوا معه برحمته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِتُ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾<sup>(1)</sup>

قال الطبري: فلما جاء ثمود عذابنا، نجّينا صالحا والذين آمنوا به معه برحمة منا، أي بنعمة وفضل من الله ومن خزي يومئذ، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلة بذلك العذاب، (إن ربك هو القوي) في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها، فهو (العزیز) لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره<sup>(2)</sup>. وأخذ الذين كفروا الصيحة، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا... فأصبحوا في ديارهم جاثمين صرعى هلكى<sup>(3)</sup>.

وأخير فالرحمة لهود ولمن آمن معه:

فلم تجدي فيهم تلك النصائح الغالية نفعا، فأخذهم العذاب وما كان أكثرهم مؤمنين... ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(4)</sup> قال في الإتيان: ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا، أتى بوصف العزيز الرحيم، للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم، والرحمة لمن آمن<sup>(5)</sup>.

## 5 — رحمة الله بإبراهيم عليه السلام:

أ — من رحمة الله بإبراهيم أن وهبه النبوة ومن اصطفاهم من ذريته:

في سورة مريم بين الحق سبحانه وتعالى طرفا من رحمة الله بإبراهيم عليه السلام: يقول سيد قطب: وتبدو في هذه الحلقة شخصية إبراهيم الرضي الحليم.. تبدو وداعته وحلمه في

1 - هود(66).

2 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 12 / 65.

3 - انظر معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، 2 / 391، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1407 هـ / 1987 م.

4 - الشعراء (159).

5 - إتيان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، محمد بن محمد بن محمد الغزي، 2 / 181، الفاروق الحديثة - القاهرة، تحقيق: خليل محمد العربي، ط1، 1415 هـ / 1995 م.

ألفاظه، وتعبيراته التي يحكي القرآن الكريم ترجمتها بالعربية، وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه، كما تتجلى رحمة الله به، وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين، ذرية صالحة تنسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء وفيها الصالحون، وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، ينحرفون عن الصراط الذي سنه لهم أبوه إبراهيم، هم هؤلاء المشركون<sup>(1)</sup>..

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾<sup>(2)</sup>

قال في أنوار التنزيل: (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي النبوة والأموال والأولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويشنون عليهم استجابة لدعوته (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والمراد باللسان ما يوجد به، ولسان العرب لغتهم، وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو، للدلالة على أنهم أحقاء بما يشنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل)<sup>(3)</sup>.

ويقول سيد قطب: (والرحمة هنا تذكر لأنها السمة البارزة في جو السورة، ولأنها هبة الله التي تعوض إبراهيم عن أهله ودياره، وتؤنس في وحدته واعتزاله)<sup>(4)</sup>. وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم للأوثان، وهجر الأهل والأوطان، فلم يتركه الله وحيدا بل وهب له ذرية وعوضه خيرا.

قال المفسرون: لما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى أرض الشام، واعتزل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خير منهم، فوهب له إسحاق ويعقوب أولاداً أنبياء، فأنس الله بهما وحشته عن فراق قومه، بأولئك الأولاد الأطهار، ويعقوب ابن إسحاق، وهما شجرتا الأنبياء، فقد جاء من نسلهما أنبياء بني إسرائيل، قال ابن كثير: المعنى جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء، أقر الله بهم عينه في حياته بالنبوة<sup>(5)</sup>، (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا) أي أعطينا الجميع — إبراهيم وإسحاق ويعقوب — كل الخير الديني والدنيوي، من المال والولد والعلم والعمل، (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي جعلنا لهم ذكرا حسنا في الناس، لأن جميع أهل الملل

1 - انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 2311/4.

2 - مريم (50).

3 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 20 / 4.

4 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 2312 / 4 - 2313.

5 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 125/3.

والأديان يثنون عليهم لما لهم من الخصال المرضية، ويصلون على إبراهيم وعلى آله إلى قيام الساعة، وقال الطبري: أي رزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل في الناس<sup>(1)</sup>.

### ب — الملائكة تدعو بالرحمة على إبراهيم عليه السلام وآل بيته:

وهذا نموذج آخر يتمثل في رحمة الله بإبراهيم وبشارته على الكبر بسلام عليهم، فلما سمعت امرأته البشارة تعجبت، فردت الملائكة عليها:

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(2)</sup>.  
(قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاءه الله فيك وفي بعلك، رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم، (إنه حميد مجيد) إن الله محمود في تفضله عليكم، بما تفضل به من النعم عليكم، وعلى سائر خلقه، مجيد: ذو مجد ومدح وثناء كريم)<sup>(3)</sup>.

وهذا سلام من الله على آل إبراهيم، فقدم الله اسمه على أهل بيت إبراهيم، لأنه دُعاء بخير، والدعاء بالخير الأحسن فيه أن يتقدم الدعاء باسمه تعالى على المدعو له.

قال في بدائع الفوائد: وسر ذلك والله أعلم أن في الدعاء بالخير، تقديم اسم الدعاء المحبوب، الذي تشتهيهِ النفوس وتطلبه، ويلذ للسمع لفظه، فيبدأ السمع بذكر الاسم المحبوب المطلوب، ويبدأ القلب بتصوره، فيفتح له القلب والسمع، فيبقى السامع كالمنتظر لمن يحصل هذا، وعلى من يحل، فيأتي باسمه فيقول: عليك أو لك، فيحصل له من السرور والفرح ما يبعث على التحاب والتواد والتراحم، الذي هو المقصود بالسلام<sup>(4)</sup>.

وإبراهيم عليه السلام يعرف سعة رحمة الله عليه بعد البشارة بالولد:

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ، قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ، قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(5)</sup>

فقد استبعد إبراهيم في أول الأمر أن يرزق بولد وقد مسه الكبر — وزوجته كذلك عجز عقيم كما جاء في مجال آخر — فرده الملائكة إلى اليقين:

1- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، 93/16، وانظر صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 8/4444، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1401هـ - 1981م.

2- هود (73).

3- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، 12 / 77.

4- بدائع الفوائد، ابن القيم، 2 / 400، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الجمال، ط1، 1416هـ / 1996م.

5- الحجر (54 - 56).

قالوا: بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين..

أي من اليائسين، فأب إبراهيم سريعاً، ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله:

قال: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون؟

(وبرزت كلمة "الرحمة" في حكاية قول إبراهيم، تنسيقاً مع المقدمة في هذا السياق؛ وبرزت معها الحقيقة الكلية: أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، الضالون عن طريق الله، الذين لا يستروحون روحه، ولا يحسون رحمته، ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته، فأما القلب الندي بالإيمان، المتصل بالرحمن، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبّد، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر، وثقل هذا الواقع الظاهر.. فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين، وقدرة الله تنشيء الأسباب، كما تنشيء النتائج، وتغير الواقع كما تغير الموعد)<sup>(1)</sup>.

## 6 — رحمة الله بلوط عليه السلام:

قال سيد قطب: (ويبدأ لوط عليه السلام مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح، يستنكر استهتارهم؛ ويستجيش في قلوبهم وجدان التقوى، ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة، ويطمئنهم إلى أنه لن يفجعهم في شيء من أموالهم مقابل الهدى، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ)<sup>(2)</sup>.

ولكنهم تماردوا في غيهم فهم في سكرتهم يعمهون، فتعدوا على ضيفهم من الملائكة، فقال لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(3)</sup>، قال في النهاية: في الحديث أنه قال: رحم الله لوطاً إنه كان يأوي إلى ركن شديد: أي إلى الله تعالى الذي هو أشد الأركان وأقواها، وإنما ترحم عليه لسهوه حين ضاق صدره من قومه حتى قال: أو آوى إلى ركن شديد، أراد عز العشيرة الذين يستند إليهم كما يستند إلى الركن من الحائط (فما بعث الله من بعده) أي بعد لوط عليه السلام (إلا في ذروة من قومه) أي أعلا نسب قومه<sup>(4)</sup>.

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2148.

2 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 2613.

3 - هود (80).

4 - تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، المباركفوري، أبو العلا، 8/ 448 - 449، كتاب تفسير القرآن. دار الفكر - بيروت.

فرحمة الله بلوط عليه السلام ممثلة في نجاته وأهله إلا امرأته، لأنها كانت من القوم الظالمين، ولم تؤمن بلوط عليه السلام، وكذلك دعوة الرسول ﷺ له بالرحمة<sup>(1)</sup>، حين غاب عنه أنه يأوي إلى ركن شديد، إنه ركن الله الذي لا يتخلى عن أنبيائه وأوليائه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(2)</sup>.

فالذي آمن بلوط عليه السلام بناته فقط، فالرحمة نالته وبناته دون ما سواهم من قومه الذين كذبوه، وتمردوا وشذوا عن الفطرة، وهددوه بالطرد من قريتهم، فقال لهم: إني من المبغضين الكارهين لعملكم هذا، ثم دعا الله سبحانه أن ينجيه وأهله، أي بناته، فاستجاب الله دعاءه، ثم دمر الله القرية بأن جعل عاليها سافلها، فجعل الله العزة على من لم يؤمن من قوم لوط، ونالت الرحمة لوطا عليه السلام وبناته.

## 7 — رحمة الله بيوسف عليه السلام :

أ — الله يرحم يوسف عليه السلام بأن عصمه فصرف عنه السوء والفاحشة:

يمر يوسف عليه السلام بعدة محن، منها محنة إلقاءه في الحب، فيجد رحمة الله فيه، ثم يمر بمحنة أخرى، واختباره في مدى عفته ونزاهته وطهارته، ممثلة في امرأة العزيز، ومرادتها له، ثم حين يتسوا منه وأرادوا دفن الفضيحة، زجوا به في السجن، وقبل أن يخرج من السجن يريد تطهير سمعته مما نسبوه إليه ظلما، فيسأل الملك عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فقال النسوة: حاشا لله ما علمنا عليه من سوء، ثم أوضحت امرأة العزيز حقيقة الأمر، بأنها هي التي راودته عن نفسه، وأنه صادق في رد ما ألصق به من قلم باطلة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

قال في أنوار التنزيل: (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن، أي ذلك التثبت ليعلم العزيز، أي لم أخنه وأنا غائب عنه، أو وهو غائب عني، أو وراء الأستار والأبواب المغلقة، وأن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم، (وما أبريء نفسي) أي لا

1 - (..ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد..). رواه مسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، 104/15 برقم: 6095.

2 - انظر الشعراء (8 - 67 - 103 - 121 - 174 - 190).

3 - يوسف (52 - 53).

أنزهها - تنبيهها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من **العصمة والتوفيق** - وعن ابن عباس أنه لما قال: (ليعلم أي لم أخنه بالغيب) قال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال ذلك: إن النفس لأماراة بالسوء، من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات، فتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات، (إلا ما رحم ربي) إلا وقت رحمة ربي، أو إلا من رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك، وقيل: ولكن رحمة ربي هي التي تُصرف الإساءة، وقيل: الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف عليه السلام.. (إن ربي غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة، أو يغفر للمستغفر لذنبه، المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه<sup>(1)</sup>.

### ب - من رحمة الله بيوسف عليه السلام أن مكن له في الأرض:

ثم إن يوسف عليه السلام استخلصه الملك لنفسه وجعله على خزائن الأرض، جزاء وإحسانا لصبوره وتقواه، وهذا هو التمكين في الأرض، لأن الله يعطي النعم من يشاء من عباده، وهي رحمة من الله تعالى ليوسف عليه السلام:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(2)</sup>

(أي ومثل ذلك التمكين العجيب مكنّا ليوسف في الأرض، أي جعلنا له مكانا، وهو عبارة عن كمال قدرته ونفوذ أمره ونهي، حتى صار الملك يصدر عن رأيه، وصار الناس يعملون على أمره ونهي، يتبوا منها حيث يشاء أي يتزل منها حيث أراد، ويتخذ مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته، كما تقدم وكأنه يتصرف في الأرض التي أمرها إلى سلطان مصر، كما يتصرف الرجل في منزله، نصيب برحمتنا من نشاء من العباد فنرحمه في الدنيا بالإحسان إليه، والإنعام عليه، وفي الآخرة بإدخاله الجنة، وإنجائه من النار، ولا نضيع أجر الحسنيين في أعمالهم الحسنة، التي هي مطلوب الله منهم، أي لا نضيع ثوابهم فيها ومجازاتهم عليها)<sup>(3)</sup>.

1 - انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 3 / 294 - 295.

2 - يوسف (56).

3 - فتح القدير، الشوكاني، 35/3.



### ج — يوسف عليه السلام يتذكر رحمة الله به فلم ييخل بها على إخوته:

ثم تمضي الأيام والسنون، وتأتي سنوات القحط والجذب، ويأتي أخوة يوسف من البدو لأخذ الميرة، وهم لا يدرون ممن يأخذونها، ويعودوا مرة أخرى ببضاعة مزجاة، يطلبون من عزيز مصر أن يتصدق عليهم، لأنهم رأوه من المحسنين، فيُفاجئون عندما يسألهم يوسف بما فعلوه بأخيهم، فيدركون أنهم أمام أخوهم يوسف، فيعترفوا بعجزهم في تحديدهم لإرادة الله عز وجل، ويعترفوا بخطيئتهم، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾<sup>(1)</sup>

(قالوا: تالله لقد اختارك الله علينا بحسن الصورة وكمال السيرة، وإن كنا لخاطئين، والحال أن شأننا أنا كنا مذنبين بما فعلنا معك، قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، لا تأنيب عليكم<sup>(3)</sup>، لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته، فما ظنكم بسائر الأيام - أو لا أثربكم اليوم وأنا عزيز مصر، وأنا في هذه المكانة العالية - (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها (وهو أرحم الراحمين) فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب، وما كان ليوسف أن يقول هذا، إلا عن صدق ووفاء لمن علمه الرحمة، وأدرك أن الله أرحم الراحمين، حين كاد له إخوته، وتولاه الله تعالى بالرعاية والرحمة، طيلة حياته، فقد تذكر هذه الرحمة، فلم ييخل بها على إخوته، فقال لهم: وإن كنت قد رحمتكم، فالله أرحم مني بل هو أرحم الراحمين، فالفضل يعود له سبحانه وتعالى في ذلك)<sup>(4)</sup>.

### 8 — من رحمة الله يعقوب عليه السلام:

— يعقوب عليه السلام يرجو رحمة الله وينالها:

1 - يوسف (92).

2 - يوسف (92).

3 - تفعيل من الثرب، وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة كالتجليد، فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض، ويذهب ماء الوجه.

4 - انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 3 / 295.

فلَمَّا قَدِمَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَى آبَائِهِمْ، طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ، لِأَنَّهُمْ سَيَمْنَعُونَ الْكَيْلَ إِذَا لَمْ يَأْتِ مَعَهُمْ أَخُوهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ، فَلَمْ يَأْمَنْهُمْ عَلَى ابْنِهِ، لِأَنَّهُمْ فَرَطُوا فِي يُوسُفَ مِنْ قَبْلِ، فَقَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(1)</sup>

وهو أرحم الراحمين، فارجوا أن يرحمني بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين<sup>(2)</sup>.

فرحم الله تعالى يعقوب عليه السلام حين ابتلاه، ورحمه حين حفظ ابنه وجمعه بينه جميعا.

## 9 — رحمة الله بشعب عليه السلام:

(كان أهل مدين - وبلادهم تقع في الطريق من الحجاز إلى الشام - ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، وكانوا يقطعون الطريق على القوافل الذاهبة الآية بين شمال الجزيرة وجنوبها، ويتحكموا في طرق القوافل، ويفرضوا ما يشاءون من المعاملات الجائرة، فأرسل الله إلى مدين أخاهم شعيبا، يدعو قومه للدينونة لله وحده، وأرسله من أجل قضية الأمانة والعدالة، ولكن القوم قد عتوا ومردوا على الانحراف والفساد! فهم يتساءلون، بل ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالإقتصاد، وما للدين والمهارات في الغش والسرقة؟!، ويسخر أهل مدين من شعيب - كما يتوقع بالسخرية اليوم ناس على دعاة التوحيد الحق - فيقولون: إنك لأنك الحليم الرشيد! ..

وهم يعنون عكس معناها، فالحلم والرشد عندهم، أن يعبدوا ما يعبد آباؤهم بلا تفكير، وأن يفصلوا بين العبادة والتعامل في السوق! وكذلك هو عند المثقفين المتحضرين اليوم، الذين يعيبون على المتعصبين الرجعيين<sup>(3)</sup>!!!

فنصحهم شعيب عليه السلام، وأنذرهم وسعى لترغيبهم في دعوته بأن يرجعوا عما هم فيه من فساد، لأن الله (عظيم الرحمة للتائبين، ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده)<sup>(4)</sup>.

1 - يوسف (64).

2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 3 / 298.

3- انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 1920 بالتصرف.

4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 3 / 256.

## — نجا شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه رحمة من الله:

إن أهل مدين لم يفقهوا دعوة شعيب، واعتبروا شعيبا عليه السلام فيهم ضعيفا، وهددوه بالرحم لولا رهطه، فتعجب منهم كيف يكون رهطه أعز عليهم من الله! ثم يقول لهم: امضوا على طريقكم، وإني عامل على طريقي ومنهجي، وانتظروا العاقبة التي تنتظرن وتنتظركم:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾<sup>(1)</sup>

(قال تعالى: لما جاء أمرنا أي عذابنا، (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) وهي الإيمان الذي وفقناهم له، أو برحمة كائنة منا لهم، وإنما قدم تنجيته اهتماما بشأنها، وإيذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب جرائمهم وجرائمهم)<sup>(2)</sup>، وقال في فتح القدير: برحمة منا لهم بسبب إيمانهم، أو برحمة منا لهم، وهي هدايتهم للإيمان<sup>(3)</sup>.

وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، أحمدهم فأهلكتهم بكفرهم برهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم وصرعى بأفئيتهم<sup>(4)</sup>.

## 10 — رحمة الله بموسى عليه السلام:

رغم الأذى الذي تعرض له موسى عليه السلام من قومه لكنه صبر، فكانت رحمة الله تحفه خلال مسيرة دعوته، وحياته المليئة بالشدائد والحن، فرحمة الله على موسى بما صبر عن أذى قومه، ورحمة الله على موسى حين أدى رسالته، فهذا رسول الله ﷺ يدعو لموسى عليه السلام بالرحمة، حين أغضبه رجل يوم قَسَمَ قسمة على أصحابه، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِسْمَةً فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجَهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فْتَمَعَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)<sup>(5)</sup>.

1 - هود (94)

2 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 237 / 4.

3 - فتح القدير، الشوكاني، 2 / 521.

4 - انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 108 / 12.

5- صحيح البخاري، الإمام/ محمد بن اسماعيل أبو عبد الله، البخاري الجعفي، باب بدء السلام، برقم: 5599، دار القلم - بيروت، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، 1407 هـ / 1987 م.

### أ — من رحمة الله بموسى أن وهبه أخاه هارون نبيا إجابة لدعوته:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾<sup>(1)</sup> ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون نبيا، وأيدناه بنبوته وأعناه بها، عن ابن عباس في قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) قال: كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته<sup>(2)</sup>. وقال أبو السعود<sup>(3)</sup>: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) أي من أجل رحمتنا ورأفتنا له، أو بعض رحمتنا أخاه أي معاضدة أخيه ومؤزرته، إجابة لدعوته بقوله: (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي)<sup>(4)</sup>.

### ب — رحمة الله تدرك موسى وأخيه هارون:

قال موسى عليه السلام في دعائه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(5)</sup>، قال في أنوار التنزيل: (يرحم الله موسى عليه السلام، لقد رمى بالألواح من يده عندما رأى قومه يعبدون العجل، وفي الحديث عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المعايين كالمخبر، أخبر الله موسى أن قومه فُتِنُوا، فلم يُلَقِ الألواح، فلما رآهم ألقى الألواح»<sup>(6)</sup>، فتوجه بالدعاء إلى الله يطلب المغفرة له ولأخيه، وأن يدخلهما في رحمته، أي في جنته، (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ) بمزيد الإناعام علينا، وأنت أرحم الراحمين، فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا)<sup>(7)</sup>.

وقال في التيسير: ندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته مما ظنه فيه من التقصير، وقال: رب اغفر لي ولأخي هارون، وأدخلنا في رحمتك، أي في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها حصن حصين من جميع

1 - مريم (53).

2- انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري 16 / 95.

3 - أبو السعود: هو شيخ الاسلام ومفتي الأنام الإمام العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، فقيه أصولي فرضي مفسر وأديب، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، صاحب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وتهافت الأمجاد في الفقه، له ترجمة في الشقائق النعمانية ص439، وشذرات الذهب 398/8.

4 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، 5 / 270.

5 - الأعراف (151).

6 - صحيح ابن حبان، ابن حبان، فصل قدر المقادير قبل أن يخلق، 6/110، دار الفكر - بيروت، بدون

7 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 3 / 62.

الشروع، وثم كل خير وسرور، وأنت أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا<sup>(1)</sup>.

— وكانت التوراة رحمة لموسى وأخيه، ومن اتصف بصفة الخوف والخشية من الله من قوم موسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

— موسى عليه السلام يدعو بالرحمة بعد فعلة السفهاء من قومه وينالها:

بعد أن أخذت الصيحة السبعين رجلا الذين اختارهم موسى من قومه الذين لم يعبدوا العجل، عندما قالوا لموسى أرنا الله جهرة، قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾<sup>(5)</sup>، قال موسى: أنت ناصرنا، فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها، و تعطف علينا برحمتك، وأنت خير من صفح عن جرم وستر على ذنب<sup>(6)</sup>، (و أنت خير من غفر وأولى من رحم وأكرم من أعطى وتفضل)<sup>(7)</sup>، فأجاب الله دعاءه وغفر له، ورحمه.

## 12 — رحمة الله بأيوب عليه السلام :

أ — من رحمة الله بأيوب عليه السلام أن كشف عنه الضر:

يُبتلى أيوب عليه السلام في ماله وولده وجسده، ثم يصبر ويصبر ثمان عشرة سنة، ثم يستحي أن يدعو الله بالشفاء، بل ينادي ربه هكذا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَّ

1 - انظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 304/1.

2 - الأعراف (154).

3 - القصص (43).

4 - الأنعام (154).

5 - الأعراف (155).

6 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 9/ 77.

7 - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 304/1.

الضرُّ<sup>(1)</sup>، قال البيضاوي: وصف ربه بغاية الرحمة، بعدما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال<sup>(2)</sup>.

وقال ابن القيم: جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتملق له والإقرار له، بصفة الرحمة، وإنه أرحم الراحمين والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره<sup>(3)</sup>.

### ب — بأدب أيوب عليه السلام في الدعاء كانت الرحمة:

يقول سيد قطب: (وقصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء، والنصوص القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل، وهي في هذا الموضع تعرض دعاء أيوب واستجابة الله للدعاء، لأن السياق سياق رحمة الله بأنبيائه، ورعايته لهم في الابتلاء، سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم، كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح، أو بالنعمة في قصة داود وسليمان، أو بالضر كما في حال أيوب..

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: أي مسني الضر.. ووصف ربه بصفته: وأنت أرحم الراحمين، ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرا على بلائه، ولا يقترح شيئا على ربه، تأدبا معه وتوقيرا، فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئنانا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

ثم يقول سيد: وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

ثم قال: رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافي صحيح، ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم، وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثلهم، أو أنه وهب له أبناء وأحفادا.

1 - الأنبياء (83).

2 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 4/ 104.

3 - الفوائد، ابن القيم، 1/ 201، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1393هـ/1973م.

4 - الأنبياء (83 - 84).

(رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنّة، وذكرى للعابدين، تذكرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء، وإن في بلاء أيوب لمثلاً للبشرية كلها؛ وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها، وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار<sup>(1)</sup>.

### 3 — رحمة الله بذكرى عليه السلام:

الصفات التي استحق بها ذكرى وزوجه وابنه رحمة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿كَهَيْعِص ، ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا، إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾<sup>(2)</sup> (تبدأ بدعاء زكريا: رب لا تذرني فردا بلا عقب يقوم على الهيكل، وكان زكريا قائما على هيكل العبادة في بني إسرائيل قبل مولد عيسى - عليه السلام - ولا ينسى زكريا أن الله هو وارث العقيدة ووارث المال: وأنت خير الوارثين، إنما هو يريد من ذريته من يحسن الخلافة بعده في أهله ودينه وماله، لأن الخلق ستار القدرة في الأرض، وكانت الاستجابة سريعة ومباشرة: فاستجبنا له، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه وكانت عقيما لا تصلح للنسل.. ويختصر السياق تفصيلات هذا كله ليصل مباشرة إلى استجابة الله للدعاء. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾<sup>(3)</sup> فسارع الله في استجابة الدعاء، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾<sup>(4)</sup>... رغبة في الرضوان ورهبة للغضب... فقلوبهم وثيقة الصلة دائمة التطلع، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾<sup>(5)</sup> لا متكبرين ولا متحجرين.. إنهم كانوا يسارعون في الخيرات.. فسارع الله في استجابة الدعاء، فهذه الصفات في زكريا وزوجه وابنهما يحيى استحق الوالدان أن ينعم عليهما بالابن الصالح، فكانت أسرة مباركة تستحق رحمة الله ورضاه<sup>(6)</sup>.

### 14 — رحمة الله بيحيى عليه السلام بأن آتاه النبوة والحنان:

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2392.

2 - مريم (1، 2).

3 - الانبياء: من الآية (90).

4 - الانبياء: من الآية (90).

5 - الانبياء: من الآية (90).

6 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2395.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ، وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾<sup>(1)</sup>

فرحمة الله بيحيى عليه السلام ممثلة في هذه النعم التي ذكرتها الآية:

( يا يحيى خذ التوراة بحمد واستظهار بالتوفيق، وآتيناه الحكمة وفهم التوراة، وقيل النبوة — والنبوة رحمة — فأحكم الله عقله في صباه واستنبأه، (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه، وتعطفا في قلبه على أبويه وغيرهما، وطهارة من الذنوب أو صدقة، أي تصدق الله به على أبويه، أو مكنته ووفقه للتصديق على الناس، وكان مطيعا متجنباً عن المعاصي، وباراً بوالديه ولم يكن عاقاً أو عاصي ربه، وسلام عليه من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم، (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار يوم القيامة<sup>(2)</sup> .

فذكرت الآية من نعم الله على يحيى عليه السلام أن آتاه الله النبوة والحنان، والحنان هو الرحمة، فالرحمة ممثلة في تلك النعم التي أنعمها الله عليه.

## 5 — رحمة الله بعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾<sup>(3)</sup>.

— من رحمة الله بعيسى أن جعله نبيا:

قال: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾<sup>(4)</sup> (أي ونفعل ذلك لنجعله آية، أو لنبين به قدرتنا ولنجعله، آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا<sup>(5)</sup>)، قال ابن كثير: وقوله: (ورحمة منا) أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبيا من الأنبياء، يدعو إلى

1 - مريم (12 - 13).

2 - انظر أنوار التنزيل، البيضاوي، 4 / 8.

3 - مريم (16 - 21).

4 - مريم (21).

5 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 4 / 9 - 10.



عبادة الله تعالى وتوحيده<sup>(1)</sup> ، (وكان أمراً مقضياً) أي تعلق به قضاء الله في الأزل، أو قدر وسطر في اللوح، أو كان أمراً حقيقياً بأن يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة<sup>(2)</sup>.

وقال سيد قطب: ومن نعمة الله ورحمته بعيسى عليه السلام، أن جعله برا بوالدته وديعاً لطيفاً<sup>(3)</sup>: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾<sup>(4)</sup>.

## 16 — رحمة الله بمحمد ﷺ :

### أ — النبوة رحمة لمحمد ﷺ تعصمه من الضلال:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾<sup>(5)</sup>.

قال الرازي: والمعنى ولولا أن الله خصك بالفضل وهو النبوة، وبالرحمة وهي العصمة، لهمت طائفة منهم أن يضلوك، وذلك لأن قوم طعمة كانوا قد عرفوا أنه سارق، ثم سألوا النبي ﷺ أن يدفع ويجادل عنه، ويرثه عن السرقة، وينسب تلك السرقة إلى اليهودي، ومعنى يضلوك أي يلقوك في الحكم الباطل الخطأ، ثم قال تعالى: (وما يضلون إلا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الإثم والعدوان، وشهادتهم بالزور والبهتان، فهم لما أقدموا على هذه الأعمال فهم الذين يعملون عمل الضالين<sup>(6)</sup>.

### ب — من رحمة الله تعالى بمحمد ﷺ أن أنزل عليه القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(7)</sup>، قال الطبري: وما كنت ترجو يا محمد، أن يتزل عليك هذا القرآن، فتعلم الأنبياء والأخبار عن الماضين قبلك، والحادثة بعدك، مما لم يكن بعد مما لم تشهده ولا تشهده، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش، إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك، فقوله:

1 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 3/ 116.

2 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 4/ 9 - 10.

3 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2392.

4 - مريم (32).

5 - النساء (113).

6 - التفسير الكبير، الرازي، 32/ 11.

7 - القصص (86).

(إلا رحمة من ربك) استثناء منقطع (قال الفراء<sup>(1)</sup>: هذا من الاستثناء المنقطع، معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن<sup>(2)</sup>)، فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك، بإنزاله عليك هذا الكتاب، ولا تكونن عوناً لمن كفر بربك على كفره به<sup>(3)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم<sup>(4)</sup>.

#### ت — من رحمة الله بمحمد ﷺ أن ثبت القرآن في قلبه:

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (86) **إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**<sup>(5)</sup> قال الطبري: يقول عز وجل: ولئن شئنا لنذهبن يا محمد بالذي أوحينا إليك، ولكنه لا يشاء ذلك رحمة من ربك وتفضلا منه عليك، إن فضله كان عليك كبيرا، باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى<sup>(6)</sup>.

وقال في الوجيز: (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين، حيث جعلك سيد ولد آدم وأعطاك المقام المحمود<sup>(7)</sup>.

#### ث — من رحمة الله بمحمد ﷺ أن جعله هينا لين الجانب لأصحابه رضي الله عنهم:

من رحمة الله بمحمد ﷺ أن لئن قلبه، فلم يكن غليظ القلب ولا فظا، فكان ﷺ رحمة إلى عباده وقدوة ومثلا يقتدى به في الرحمة، قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

1 - الفراء: أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراء، مولى بني منقر، ولد بالكوفة، كان يجلس الناس في مسجده إلى جانب منزله، وكان ينزل بإزائه الواقدي، كان أكثر مقامه ببغداد، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة، وأقام بها أربعين يوما في أهله يفرق فيهم ماجمعه من مال ويبرهم، توفي بطريق مكة سنة سبع ومائتين هجرية، وله من الكتب الكثير منها: كتاب معاني القرآن، المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، الوقف والإبتداء، الفاخر، آلة الكتاب، النوادر، وكتب في النحو كثيرة منها: فعل وأفعّل، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، انظر (الفهرست، لابن النديم، ص 101).

2 - معالم التنزيل، البغوي، 3 / 402.

3 - انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 20 / 126.

4 - معالم التنزيل، البغوي، 3 / 402.

5 - الإسراء (86 - 87).

6 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 15 / 158.

7- انظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، 2 / 646 - 647، دار القلم - دمشق، ط1، 1415هـ/1995م.

الْمُتَوَكِّلِينَ»<sup>(1)</sup> قال ابن القيم<sup>(2)</sup>: والله سبحانه إنما يرحم من عباده الرحماء، وقال أيضا: والله سبحانه إذا أراد أن يرحم عبدا أسكن في قلبه الرأفة والرحمة، وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة، وأبدله بهما الغلظة والقسوة، وفي الحديث الثابت: عن أبي هريرة، قال: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ عليه السلام يَقُولُ: (لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ)<sup>(3)</sup>، وفيه (من لا يرحم لا يرحم)<sup>(4)</sup>، وفيه (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)<sup>(5)</sup>، وفيه (أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال)<sup>(6)</sup>... والرب تعالى هو الرؤوف الرحيم، وأقرب الخلق إليه أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته، وهذا باب لا يلجحه إلا الأفراد في العالم<sup>(7)</sup>.

قال البيضاوي: والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله، وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم، حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه، ولو كنت سيئ الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسي، لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك، (فاعف عنهم) فيما يختص بك، (واستغفر لهم) فيما لله، وشاورهم في أمر الحرب، إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطبيبا لنفوسهم، وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة، فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى، (فتوكل على الله) في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنه لا يعلمه سواه، إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح<sup>(8)</sup>.

- 1 - آل عمران (159).
- 2 - ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الرزعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، العلامة الكبير المجتهد المطلق، المصنف المشهور، ولد سنة 691 هـ/ج، في اليوم التاسع من شهر صفر، لازم شيخ الاسلام ابن تيمية، وغلب عليه حبه وانتصر له، اشتهر بابن قيم الجوزية، إذ كان والده اشتهر بهذا اللقب، قيم الجوزية، إذ كان قيما على المدرسة الجوزية بدمشق، من تصانيفه: إعلام الموقعين عن رب العالمين، زاد المعاد، بدائع الفوائد، الجواب الكافي، حادي الأرواح، وغيرها كثير، توفي رحمه الله في الثاني عشر من شهر رجب 751 هـ، انظر (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للإمام محمد بن علي = الشوكاني، 143/2 - 146، مطبعة السعادة - القاهرة، ط1، 1348 هـ/1932 م، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل أبيك الصفدي، 270/2، ط2، 1381 هـ/1961 م.
- 3 - سنن الترمذي، الترمذي، 50/6، برقم 1927، باب ماجاء في رحمة الناس، دار الكتب العلمية - بيروت، 1414 هـ/1994 م.
- 4 - سنن الترمذي، الترمذي، باب ماجاء في رحمة الولد، 37/6، من حديث الأقرع بن حابس السابق.
- 5 - سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في رحمة الناس، 52/6، برقم: 1928.
- 6 - صحيح مسلم، مسلم، 166/17.
- 7 - انظر الروح في الكلام على الأرواح والأموات والأحياء، ابن القيم، 1/250 - 251، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، 1393 هـ/1973 م.
- 8 - انظر أنوار التنزيل، البيضاوي 2/108-109.

قال في روح المعاني: أي فيما رحمة عظيمة كائنة من الله تعالى كنت لئن الجانب لهم ولم تعنفهم، ولعل المراد بهذه الرحمة ربطه سبحانه وتعالى على جأشه ﷺ وتخصيصه له بمكارم الأخلاق، وجعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجأش، لأن من ملك نفسه عند الغضب، كان كامل الشجاعة، قيل وأفاد الكلام في هذا المقام فائدتين: إحداهما ما يدل على شجاعته ﷺ، والثانية ما يدل على رفقته، فهو من باب التكميل، وقد اجتمعت فيه ﷺ هاتان الصفتان يوم أحد، حيث ثبت حتى كرّ عليه أصحابه، مع أنه عراه ما عراه ثم ما زجرهم ولا عنفهم على الفرار، بل آسأهم في الغم<sup>(1)</sup>.

ويقول سيد قطب: وننظر في هذه الفقرة، وفي الحقائق الكثيرة الأصلية المشدودة إلى محورها - وهي الحقيقة النبوية الكريمة - فنجد كذلك أصولا كبيرة تحتويها عبارات قصيرة.. نجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ وطبيعته الخيرة، الرحمة الهينة اللينة، المعدّة لأن تتجمع عليها القلوب، وتتألف حولها النفوس، فهي رحمة الله التي نالته ونالته؛ فجعلته ﷺ رحيمًا بهم، لينا معهم، ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب<sup>(2)</sup>...

### ج - تعليم الله لرسوله ﷺ عند انتظاره للرزق:

﴿وَمَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾<sup>(3)</sup>

جاء ناس من مزينة إلى النبي ﷺ يستحملونه فقال: (لا أجد ما أحملكم عليه) فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(4)</sup>.

وقيل: نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحيان ما يحتاجون إليه ولا يجد، فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول، فتزل (وإما تعرض عنهم) وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم، (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، (فقل لهم قولا ميسورا) لينا وهي العدة أي عدهم وعدا جميلاً، وقيل القول الميسور أن تقول رزقنا الله وإياك<sup>(5)</sup>.

1 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، 4/ 105 - 106.

2 - انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 500-501.

3 - الإسراء (28).

4 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 10/ 249.

5 - انظر معالم التنزيل، البغوي، 3/ 112-113.

### ح — انتصار محمد ﷺ على أعدائه رحمة من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (214) وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ 215 فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿<sup>(1)</sup>﴾ (أمر الله تعالى رسوله أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أمره بأن يلين جانبه للمؤمنين، قال النسفي: وألن جانبك وتواضع، لمن اتبعك من المؤمنين ومن عشيرتك وغيرهم، فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره، وتوكل على الذي يقهر أعداءك بعزته، وينصرك عليهم برحمته، ويكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم)<sup>(2)</sup>.

### خ — من رحمة الله بمحمد ﷺ أن وسع عليه في مظان الحرج:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ <sup>(3)</sup>.

قال الطبري: أي: إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف، اللاتي أبحت لك نكاحهن، من المسميات في هذه الآية، وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك، رحيمًا بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم، سلف بعد توبتهم منه<sup>(4)</sup>، وقال النسفي<sup>(5)</sup>: وكان الله غفورا رحيمًا بالتوسعة على عباده<sup>6</sup>.

### د — من رحمة الله بمحمد ﷺ أن ساعده في امتناعه عن مارية، والعتاب كان رحمة به:

1 - الشعراء (214 - 217).

2 - انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 3/ 200.

3 - الأحزاب (50).

4 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 22/ 24.

5 - النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أبو البركات، فقيه أصولي مفسر متكلم، توفي عام 710هـ في بلدة إيدج - بلدة بين خرسان وأصبهان - من تصانيفه عمدة العقائد، ومدارك التنزيل، وغيرها، انظر (معجم المؤلفين، لرضا عمر كحالة، 228/2، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1414هـ/1993م).

6 - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 3/ 311.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>  
(الخطاب بلفظ النبوة مشعر بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، فلم يخاطبه باسمه العلم كما خاطب سائر الرسل بقوله: ( يا ابراهيم، يانوح، يعيسى بن مريم)، وإنما خاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة، وذلك أعظم دليل وبرهان على أنه — صلوات الله عليه — أفضل الأنبياء والمرسلين، قال أبو السعود: روى أن النبي ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمن بذلك حفصة فقال لها: اكتمي عليّ فقد حرمت مارية على نفسي، وابشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمي، فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين، وقيل خلا بها في يوم حفصة، فأرضاهما بذلك واستكتهما فلم تكتم فطلقها، واعتزل نساءه فترل جبريل عليه السلام فقال: راجعها فإنها صوامة قوامه، وإنها لمن نسائك في الجنة، وروى أنه ﷺ شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا: نشم منك ريح المغافير، وكان رسول الله ﷺ يكره التفل، فحرّم العسل فترلت، فمعناه لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مِنْ مَلِكِ الْيَمِينِ، أو من العسل، تبتغي مرضات أزواجك.. والله غفور مبالغ في الغفران، قد غفر لك هذه الزلة، رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به، وإنما عاتبك محاماة على عصمتك<sup>(2)</sup>.

(والله غفور رحيم) قال السعدي: هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه سببا لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا عام في جميع أيمان المؤمنين، أي قد شرع لكم وقدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث وما به تتكفر بعد الحنث<sup>(3)</sup>.

هذه بعض مظاهر رحمة الله بأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، كما وضحتها الآيات القرآنية، لا على وجه الحصر، بل ذكرت هنا للتذكير وللتنبية بها، فرحمة الله واسعة، فلا يمكن حصرها أو تحديدها.

1 - التحريم(1).

2 - انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 266/8.

3 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 378/1.